مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 11 عدد: 1 السنة: 2022
ص: 550 - 562 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الرّوابط والعوامل الحِجاجيّة وأثرها في النّثر الأندلسي مقاربة حِجاجيّة
رسالة أبي القاسم ابن أبي الجدّ الزّرزوريّة نموذجا،

Argumentative Links and Factors and their Impact on Andalusian Prose: an Argumentative Approach
The Letter of Abi Al-Qasim bin Abi Al-Jed Al-Zarzuriyah is a Model

حمامة سالم *
hamama salem
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة.
جامعة أحمد بن يحي الونشريسي و(الجزائر)،
Ahmed ben Yahia El-Wancharissi UniversitY of Tissemsilt /Algeria
hamama.salem@cuniv-tissemsilt.dz

تاريخ الإرسال: 2021/06/29	تاريخ القبول: 2021/08/03	تاريخ النشر: 2022/03/02

ملخص البحث

يتلخّص مضمون هذا المقال، في كيفيّة عمل آليات الحجاج اللغويّة في النّثر الأندلسي، من خلال الرّسالة الزّرزوريّة لأبي القاسم بن أبي الجدّ كنموذج للدّراسة التّطبيقيّة، وقد تناولنا في الجانب النظري، الرّسالة في النّثر الأندلسي والحِجاج والعوامل والرّوابط الحِجاجيّة، أما في الجانب التّطبيقي فقد ركّزنا على الآليات اللّغويّة ممثلة في الرّوابط والعوامل الحِجاجيّة، التي استعملها الكاتب في رسالته، لنخلَص إلى أهمّ النّتائج التي نذكر منها: أن النثر القديم، وبخاصة النّثر الأندلسي نصٌّ حِجاجي بامتيّاز، له أهداف ومقاصد سعى إليها الكاتب من أجل اقناع المتلقّي والتّأثير فيه، بالحجّة والبرهان، لتحقيق الانسجام النّصي وتحقيق النتائج المرجوة.

الكلمات المفتاح : حِجاج، رّسالة، رّوابط حجاجيّة، عوامل حِجاجيّة، الزّرزورية.

Abstract :

The content of this article is summarized in how the linguistic mechanisms of Al-Hajjaj works in the Andalusian prose, through the Zurzuri message of Abu Al-Qasim bin Abi Al-Jedd as a model for the practical study. On the theoretical side, we dealt with the message in Andalusian prose, arguments, and argumentative factors and links. In the practical side, we focused on the linguistic mechanisms represented by arguments and factors, which the writer used in his message., to conclude we presented the most important results, including: that ancient prose, especially Andalusian prose, is an argumentative text with distinction, goals and

* حمامة سالم: salem0623@gmail.com

objectives that the writer sought to convince the receiver, to achieve the argument, and to influence it. Textual consistency and achieving the desired results.
Keywords: argumentation, the letter, the argumentative links, the argumentative factors, Al-Zarzuuriyah.

المقدمة :

تُعدّ الرّوابط والعوامل من الآليات الحِجاجية اللُّغوية الهامة التي يركّزُ عليها التّحليل الحِجاجي التّداولي للتُّراث القديم، والتي تقوم بحصر وربط دلالة الخطاب وتقييده، بما يقصده المخاطِب, وذلك بتوجيه دلالة مقصودة إلى المخاطَب, هذا التّوجيه والحصر يؤدّي إلى التّأثير والإقناع، ولها موقع بارزٌ في العمليّة الحِجاجيّة فضلا عن أثرها في الرّابط والانسجام, إذ تَرِدُ في الخطاب الحِجاجي بين الحُجج والنّتائج فضلا عن دورها أيضا في عمليّة الرّبط بين الحُجج, مما يؤدي إلى إقناع المخاطب، وهذا ما نحاول الكشف عنه في رسالة أبي القاسم بن أبي الجدّ الزّرزوريّة، وإبراز دور الرّوابط والعوامل الحِجاجيّة في تحقيق الانسجام النّصي والتّرابط اللغوي، وهذا ما يقودنا لطرح الإشكاليّة التالية:

– ما هي أهم الرّوابط الحِجاجيّة التي وردت في رسالة أبي القاسم بن أبي الجدّ؟

– ما القيمة الحِجاجيّة والإقناعيّة التي يؤدّيها الرّابط الحِجاجي؟

1– مفهوم الحِجاج:

"إن الحِجاج هو تقديم الحُجَج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معينة ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب, بعضها بمثابة الحُجج اللّغوية وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تستخلص منها"[1]، أي أن الحِجاج الوصول إلى نتيجة ما بالحُجة والبرهان والدّليل بواسطة خطابات معينة باستعمال أدوات وروابط وعوامل حِجاجيّة.

والحِجاج كما يُعرفه الفيلسوف شايم برلمان هو: "دراسة التقنيّات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم"[2]، ويعرّفه عبد الله صولة بأنّه "العمليّة التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات، والتصوّرات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللّغوية"[3]، فالحِجاج استراتيجية مهمة وآلية لا تنفصل عن أي خطاب ولاسيما النّصوص الأدبية، لأنها خطابات إقناعيه وأعمالا حوارية، يمكن للمتكلم بواسطتها اقامة علاقة تخاطبية مع جمهور متلقيه في مقام تواصلي معين، ويهدف عن طريقها إلى إقناعه والتأثير عليه من خلال استخدام وسائط

لغوية وآليات بلاغيّة بغية فض النزاع والتخاصم وحل الخلافات ودحضها بالحِجاج والبراهين والأدلة، أما أنسكومبر وديكروAnscombre et Ducrot فقد تحدّثا عن حِجاج مختلف عن الحِجاج عند برلمان، فعندهما اتخذ الحِجاج منحاً لغويا، متميزين بذلك عمن سبقهما في دراسة الحِجاج حيث يتمثل موضوع الحجاج لديهما بأنه :"حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها في بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللّحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجيّة ما"[4]، فالباحثان يركّزان على ما في اللّغة من أبنية تؤدي إلى حِجاجيّة القول.

2- الرّسائل في الأدب الأندلسي:

تعرّض الدّارسون لمفهوم الرّسالة، حيث أعطوا لها مفهوما خاصا، فاختلفت تعريفاتهم حول هذا الفن، ومن ذلك تعريف ابن خلدون الذي يقول: "تعنى المخاطبات لمن بعد عن السلطان وتنفيذ الأوامر فيمن حجب عنه"[5]، فهو مرتبط بالمجالي السياسي يخص الرسائل الموجهة للملوك والخلفاء، كما يعرفها القلقشندي بقوله: "إن المراد بكتابة الإنشاء، كلما رجع إلى صناعة الكتابة والى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والويلات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدف والأمانات، والإيمان وما في معنى ذلك"[6]، فالرّسالة فنٌّ نثري له أصناف وأنواع وميادين معينة.

ويُعتبر الأدب الأندلسي من أهمّ ميادين الدّرس الأدبي، وللنّثر فيه تاريخ يشهد بعراقته وأصالته، وحُسنِ ما كُتب فيه من رسائل نثريّة بشتّى أنواعها، ذلك أنها أضحت حقلا خصبا للدّراسة والتّحليل، وأثارت بجودةِ إتقانها جدلاً واضحاً بين الدّارسين حديثاً، حيث أن كتابها من المرموقين الذين أجادوا فنون وضروب البيان والبديع والتّمسك بنهج راق في سياق رسائلهم، ومما تميّز به النّثر الأندلسي كثرة الرّسائل الأدبية، لأنها تسعف الكتّاب وهي موجودة بوضوح في كثير من رسائلهم الشّخصية، فالكاتب يتجول برسالته في المودة والإخاء أو العتاب أو الرّثاء من آثار كثرة الحروب، كما تكثر عندهم الرّسائل الشّخصية والتي تتخذ الطبيعة موضوعا لها، وفي مقدمتهم ابن الخطيب وغيره رسائل متعدد في وصف الطبيعة. وكان للأندلسيّين ميل واضح إلى الدّعابة والفكاهة، وهما يتضحان في كثير من رسائلهم الشّخصية كرسالة أبي القاسم بن أبي الجدّ موضوع دراستنا.

ويرى الدّكتور مصطفى الشّكعة عدم وجود أيّ تطوّر يصيب الرّسائل الأندلسيّة، وإنها ظلت تسير في ركاب قرينتها المشرقيّة واقتفاء أثرها وقد دفعني للخوض في هذا المجال والتّوغل في أعماق هؤلاء الكتّاب المبدعين وما نقلوه من توظيفات راقية للتّراث المشرقي تمثّلت في أشعار الجاهليين[7]، ومن أهمّ موضوعات

الرّسائل في النثر الأندلسي هي "رسائل التّولية والعزل، ورسائل العهود والمواثيق، ورسائل المدح والتّهاني والتّعازي، ورسائل الاستغاثة والشّفاعة والاعتذار والعتاب"[8].

3- مفهوم الرّوابط الحِجاجيّة:

هناك من ذهب إلى أنّ: "الرّابط عند النّحاة هو ما يربط أحد المتصاحبين بالآخر, مثل الهاء في: عمر قام غلام هو الفاء في: من أحسن فلنفسه"[9]، وقد جاء في معجم المصطلحات النّحوية والصّرفية: "أنه العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض, وتعني كون اللّاحق منهما متعلقا بسابقه "أما الرّابط فهو مورفيم من صنف الرّوابط (حروف العطف, الظّروف) يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر, في إطار استراتيجية حِجاجيّة واحدة[10]، فالرّابط الحِجاجي وحدة لغوية تربط بين ملفوظين أو أكثر بغية الوصول إلى نتيجة محددة، واهتم الباحثان "ديكرو" و"أنسكومبر" بالرّوابط الحِجاجيّة لدورها في إحداث انسجام في الخطاب وتوجيه المخاطَب إلى ما يريده المتكلم منه، وقد فصّل العزاوي القول في طبيعة هذه الرّوابط بقوله: "وينبغي أن نميِّز بين صنفين من المؤشّرات والأدوات الحِجاجيّة، الرّوابط الحِجاجيّة والعوامل الحِجاجيّة، فالرّوابط تربط بين قولين، أو بين حُجتين على الأصحّ، وتسند لكل قول دورا محدداً داخل الاستراتيجية الحِجاجيّة العامة، ويمكن التّمثيل للرّوابط الحِجاجيّة بالأدوات التّالية: (بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أن، إذ...)، أما العوامل الحِجاجيّة فهي لا تربط بين متغيرات حِجاجيّة(بين حُجة ونتيجة أو بين مجموعة حُجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا،) وجل أدوات القصر"[11]، هذه الأدوات تساعد على عقد العلاقات بين الحُجج والنتائج في صورة تناسب سياق المخاطَب أو المتلقي، وتؤدي وظيفة جوهرية داخل الخطاب فهي تعمل على ربط وتنظيم بنية النص وانسجامه الداخلي ليكون نصا حِجاجيا مترابطا، وقد قسمها العزاوي عدة أقسام حسب وظيفتها الحِجاجية وعملها داخل الخطاب، كما يلي[12] :

- الرّوابط المدرجة للحُجج(حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن).
- الروّابط المدرجة للنّتائج (إذن، لهذا، بالتّالي).
- الرّوابط التي تدرج حججا قويةً(حتى، بل، لكن، لاسيما).
- روابط التّعارض الحِجاجي (بل ، لكن، مع ذلك).
- روابط التّساوق الحِجاجي (حتى، لاسيما).

لقد عمد العزّاوي إلى تقسيم الرّوابط الحِجاجيّة بحسب وظيفتها ووفق سيّاقها داخل النّص الذي وضعت فيه.

4- مفهوم العوامل الحِجاجيّة:

يقول دكرو "وأما النّوع الثّاني، فهو ما يكون داخل القول الواحد، من عناصر تدخل على الإسناد، مثل: الحصر والنّفي، أو مكوّنات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة، مثل: منذ الظرفية وتقريبا وعلى الأقل...الخ، ويسمّيه عوامل حِجاجيّة"[13]، فمحل العوامل الحِجاجيّة هو القول الواحد.

وتختلف العوامل الحِجاجيّة في عملها عن الرّوابط الحِجاجيّة؛ إذ لا تجمع بين الحُجج أو بين الأقوال، يقول العزّاوي: "ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول ما"[14]، فتحديد إمكانات الملفوظ وتحصرها في طريق واحد، "فيعمد العامل الحِجاجي إلى حصرها حتى تقود إلى نتيجة واحدة وذلك بالانتقال بالملفوظ من الإبلاغية إلى الحِجاجية"[15]، وهي "واسم لغوي يقيد احتمالاتها عندما يعين لها وجهة حِجاجية"[16]، إذ تزيل الغموض لدى المتلقّي أو السّامع، والعوامل الحِجاجيّة تتمثل في: (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما+إلا، إنما، إلا، لا).

ومن أهمّ وظائف العوامل الحِجاجيّة أنها توجّه الحِجاج وجهة معينة، "فإذا كانت الوجهة الحِجاجيّة محددة بالبنية اللّغوية، فإنها تبرز في مكوّنات متنوّعة ومستويات مختلفة من هذه البنية، فبعض هذه المكوّنات يتعلّق بمجموع الجملة، أي هو عامل حِجاجي في عبارة دكرو فيقيّدها، بعد أن يتم الإسناد فيها، ومن هذا النّوع نجد النّفي، والاستثناء المفرغ والشّرط والجزاء، وما إلى ذلك مما يغيّر قوة الجملة دون محتواها الخبري"[17]، أي أنها لا تخفي الفائدة الإخبارية للخطاب بل تزيده وضوحا وبروزا.

5- رسائل الزّرزوريات:

هي مجموعة من الرّسائل الأدبية عرفت طريقها إلى النّثر الأندلسي لأول مرة في القرن الخامس الهجري، وهي إحدى عشرة رسالة كتبها سبعة كُتّاب أندلسيين، اتخذت من التودد، والشفاعة، والعتاب، والكدية أفقاً، ومن السخرية الفكهة أداة[18]، وقد سميت الزّرزوريات بهذا الاسم نسبة للزّرزورِ[19]، وهو طائر صغير الحجم يشبه العصفور، يتميز بجمال صوته، وخفة حركته، وذكائه، وكذلك يتميز بنهمه الشديد، وإفراطه في حبّ الطعام[20]، وأول من ابتدعها أبو الحسين بن السّراج[21]، الذي خاطب أهل عصره برسالة يشفع فيها لرجل يعرف بالزُّرَيزر، وتصوَّره زرزور حقيقي له ريش ومنقار وفرخ وعش، ومن قوله :"... شخص من الطيور يعرف بالزريزر، أقام لدنيا أيام التحسير وزمان التبلغ بالشكير، فلما وافى ريشه، ونبت

بأفراخه عشوشه، أزمع عنا قطوعًا وعلى ذلك الأفق اللدن تدليًا ووقوعًا، رجاءً أن يلقي في تلك البساتين معمراً، وعلى الغصون حباً وثمرةً"[22]، وعارضه أبو القاسم بن الجدّ بثلاث رسائل في العتاب والشفاعة، كما عارضه عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وابن أبي الخصال وغيره[23]، وقد كتب هؤلاء في فن النّثر رسائل لها خصائص موضوعية للزَّرزُرويّات ذات سمات وأوصاف غاية في الفن الكتابي، مثل السّجع والتّضمين والرّمزية والسّخرية.

6- الرّوابط والعوامل الحِجاجيّة في زرزوريّة بن أبي الجدّ وأثرها في الانسجام داخل النّص:

من أبرز الرّوابط الحِجاجيّة، وأكثرها انتشارا في زَرزُوريّة أبي القاسم بن أبي الجدّ نذكر:

6-1 الرّابط الحِجاجي (الواو):

(الواو) من حروف العطف، وتُعتبر من أهمّ الرّوابط الحِجاجيّة المتساوقة، لأنّها تجمع بين الحُجج وربط المعاني وتقوية هذه الحُجج وزيادة تماسكها بعضها ببعض وتقوية كل منها بالأخرى من أجل تحقيق النتيجة المبتغاة، وينتج عن الربط بـ (الواو) علاقة "التتابع" التي لعل المخاطب يلقي حُججه بطريقة متسلسلة ومرتبة، فالرّبط الحِجاجي بواسطة هذه الأداة يسهم في بناء هيكلية مكوّنات الخطاب وضبط منهجه بربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد، وتعمل (الواو) على الربط النسقي أفقيا على عكس السّلم الحِجاجي"[24]، ومن أمثلة الرّابط الحِجاجي (الواو) في زّرزُوريّة بن أبي الجدّ:

يقول بن أبي الجدّ: "حَسُنَتْ لَكَ يَا سَيِّدي أَبَا الحُسَيْنِ ضَرائِبَ الأَيّامِ، وَتَشَوَّفَتْ نَحْوَكَ غَرَائِبَ الكَلامِ، وَاهْتَزَّتْ لِمُكاتَبَتِكَ أَعْطافُ الأَقْلامِ، وَجَادَتْ عَلَى مَحَلِّكَ أَلْطافَ الغَمامِ، وَأَشَادَتْ بِفَضْلِكَ وَنُبْلَكَ أَصْنافَ الأَنامِ، فَإِنْ كَانَ رَوْضَ العَهْدِ – أَعَزَّكَ اللَّهُ – لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنا طَلٌّ وَلَا وابِلٌ، وَلَا سَجَعَتْ عَلَى أَيْكِهِ وَرَقُ الوَفاءِ وَلَا بَلابِلُ، فَإِنَّ أَزْهارَهُ عَلَى شُرُبِ الصَّفاءِ نابِتَةٌ، وَأَشْجارُهُ فِي تُرُبِ الوَفاءِ راسِخَةٌ ثابِتَةٌ، وَقَدْ آنَ الآنَ لِعُقْمِ شَجَرِهِ أَنْ تُطْلِعَ مِنْ الثَّمَرِ أَلونا، وَلِعُجمِ طَيْرِهِ أَنْ تُسْمِعَ مِنْ النَّغَمِ أَلْحَانًا...."[25]، الرّابط الحِجاجي (الواو) في هذه المقولة قام بالوصل بين الحجة والأخرى، وترتيب الحُجج وترصيفها لتشكيل البنية العامة وتدعيم النتيجة ليُنتِج علاقة التتابع والترابط ويتضح هذا بدقة في قوله: " وَتَشَوَّفَتْ نَحْوَكَ غَرَائِبَ الكَلامِ، وَاهْتَزَّتْ لِمُكاتَبَتِكَ أَعْطافُ الأَقْلامِ، وَجَادَتْ عَلَى مَحَلِّكَ أَلْطافَ الغَمامِ، وَأَشَادَتْ بِفَضْلِكَ وَنُبْلَكَ أَصْنافَ الأَنامِ..."، وقوله: " فَإِنَّ أَزْهارَهُ عَلَى شُرُبِ الصَّفاءِ نابِتَةٌ، وَأَشْجارُهُ فِي تُرُبِ الوَفاءِ راسِخَةٌ ثابِتَةٌ، وَقَدْ آنَ الآنَ لِعُقْمِ شَجَرِهِ أَنْ تُطْلِعَ مِنْ الثَّمَرِ أَلونا، وَلِعُجمِ طَيْرِهِ أَنْ تُسْمِعَ مِنْ النَّغَمِ أَلْحَانًا..."، فالحجج هنا جاءت مترابطة متسقة غير منفصلة وكل حجة هي في إثر سابقتها تساندها

وتقويها وذلك بفضل الرابط الحجاجي (الواو)، فالكاتب يوجه رسالةً لصديقه أبا الحسن وهو يدلل بالحُجج والبراهين أن أعطاف الأقلام قد اهتزت لمكاتبته وأشادت بفضله ونبله أصناف الأنام، كما أنّه يدلل له على أن الرّسالة التي وصلته من صديقه رسالة حاملة لشوق ومحبة بينهما مستعملة في ذلك الرّابط الحِجاجي (الواو) للربط والتتابع وتماسك الحُجج، ويتضح هذا في قوله: "وَوَقَعَ عَلَيَّ، مِنْ طائِرٍ شَهِيّ الصَّفِيرِ، مَبْنِيٌّ الِاسْمُ عَلَى التَّصْغِيرِ، فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنِينًا، وَابْتَدَعَ فِي نَوْبَةِ شُكْرِكَ تَلْحِينًا، وَحَرَّكَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ سُكونًا، ودَمَثَ فِي قَلْبِي لِوُدّكَ وَكُونًا، ثُمَّ أَسْمَعْنِي أَثْناءَ تَرَنُّمِهِ كَلَامًا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَوْ تَغَنَّتْ بِهِ الْوَرْقاءُ، لِأَذِنَتْ لَهُ العَنْقاءُ، أَوْ نَاحَ بِمِثْلِهِ الحَمَامَ، لَبَكَى لِشَجْوِهِ الغَمَامُ، أَوْ سَمِعَهُ قَيْسُ بْنُ عاصِمٍ فِي نَادِيه، وَبَيْنَ أَعَادِيه، لَحَلَّ الرَّمْعُ حَبَاه، وَاسْتَرَدَّ الطَّرَبُ صِبَاه، فَتَلَقّيْتُ فَضْلَ صاحِبِهِ بِالتَّسْلِيمِ، واعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ اعْتِرافَ الخَبِيرِ العَلِيمِ..."[26].

ثم يبدع الكاتب في وصف طائر الزُّرزير والذي هو في الأصل كناية عن إنسان في هيئة طير يقول: "وَبَعْدَ فَإِنِّي أَعُودُ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ الحَيَوانِ الغِرِّيدِ، والشَّيطَانِ المرِيدُ فَأَقُولُ: لَئِنْ سُمِّيَ بِالزُّرْزُرِ، لَقَدْ صُغِّرَ لِلتَّكْبِيرِ، كَمَا قِيلَ "حُرَيْقِيصٌ"، وَسَقْطَهُ يُخْرَقُ الحَرَجَ، وَ"دُوَيْهِيَّة" وَهِيَ تَلْتَهِمُ الأَرْواحَ وَالْمُهَجَ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا الطّائِرَ الصَّافِرَ يَفُوقُ جَمِيعَ الطُّيُورِ فِي فَهْمِ التَّلْقِينِ، وَحُسْنَ اليَقِينِ، فَإِذَا عِلْمَ الكَلامَ لَهِجَ بِالتَّسْبِيحِ، وَلَمْ يَنْطَلِقْ لِسانَهُ بِالْقَبِيحِ، ثُمَّ تَرَاهُ يَقُومُ كَالْنَّصِيحِ، وَيَدْعُو إِلَى الخَيْرِ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ، فَمَن أَحَبَّ الِاتِّعاظَ، لَقِيَ مِنْهُ قُسُّ إِيَاد بِعُكَاظٍ، أَوْ مَالَ إِلَى سَماعِ البَسِيطِ وَالنَّشِيدِ، وَجَدَ عِنْدَهُ نُخب المَوْصِلِي لِلرَّشِيدِ، فَطُورًا يُبْكِيكَ بِأَشْجَى مِنْ مَرَاثِي أَرْبَد، وَحِيناً يَسَلِّيكَ بِأَحْلَى مِنْ أَغَانِي مَعْبَد، فَسُبْحَانَ مِنْ جَعَلَهُ هَادِيًا خَطِيبًا، وَشَادِيًا مُطْرِبًا مُطِيباً..."[26]، فالكاتب استعمل الربط الحجاجي بالواو لغاية اثبات حُججه بصورة متسقة وقوية ومترابطة ومتتابعة لتحقيق النتيجة المرجوة من رسالته لصديقه، والرّابط الحِجاجي هنا قام بوصل الحُجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضّمنية والتي هي الكدية وطلب الحاجة بفنٍ هزلي ساخر.

6-2 الرّابط الحِجاجي (الفاء):

هي من الرّوابط الحِجاجية التي تفيد في ترتيب الحُجج وربط النّتائج بالمقدمات من خلال الرّبط بين السبب والنتيجة باستعمال الرّابط الحِجاجي (الفاء) الذي يؤمن التنقل بينهما، فهي بذلك تقوم بحصر المعنى وتحديد الفكرة وهو ما يسمح بإقامة بنية حِجاجيّة مركبة من علاقات حِجاجيّة بين الحُجج والنتائج تقوم أساسا على "التتابع" ولذا تعد هذه العلاقة الحِجاجيّة من أقدس العلاقات التي تفيد في بناء النّص وتوالده وانسجامه، فهي تقوم بالرّبط بين الأحداث مما يجعل الفعل الحِجاجي عند المتلقي مقنعا، وبالتالي

تسهم في توجيه سلوكه لأنها ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية يحرص فيه المحاجج على ربط الأحداث والأفكار ربطا سببيا فيتولد عن ذلك استدلال مباشر للنتيجة[27]، ولذلك تعدُ (الفاء) من الرّوابط المدعمة للحُجج المتساوقة نظرا للدور الذي تؤديه في الجمع بين الحُجج وتقويتها، فهي تدخل ضمن "ما يسمى بالسبيل التفسيري في الحِجاج، وهي تقنية في الحِجاج تثيرّ الانتباه وتستجلب الإصغاء وتيسر بالتالي قبول الحجة القاطعة"[28]. ومن أمثلة الرّابط الحِجاجي (حتى) في زّرزُوريّة بن أبي الجدّ:

يقول الكاتب: "فَإِنْ كَانَ رَوْضَ العَهْدِ – أَعَزَّكَ اللَّهُ – لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنا طَلٌّ وَلَا وابِلٌ، وَلَا سَجَعَتْ عَلَى أَيْكِهِ وَرَقُ الوَفاءِ وَلَا بَلابِلُ، فَإِنَّ أَزْهارَهُ عَلَى شُربِ الصَّفاءِ نابِتَةٌ.....فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنينًا.....فَتَلَقّيْتُ فَضْلَ صاحِبِهِ بِالتَّسْلِيمِ..."[29]، الرّابط الحِجاجي (الفاء) أفاد هنا ترتيب وربط النتائج بالمقدمات وهو ما نجده في قول الكاتب "فَإِنْ كَانَ رَوْضَ العَهْدِ... فَإِنَّ أَزْهارَهُ عَلَى شُربِ الصَّفاءِ نابِتَةٌ... فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنينًا"، قد ربط الأسباب بالنّتائج وحصر المعاني وايضاحها فالعهد باقٍ على حاله لم يفسده شيء وأزهاره لاتزال نابته والحنين لك يزيد حنينا، كما أن (الفاء) أفادت حسن التخلص من خلال قوله: " فَتَلَقّيْتُ فَضْلَ صاحِبِهِ بِالتَّسْلِيمِ"، أي أنه تلقى جميل صاحبه بحسن العبارة وجودة الاستقبال، وهو ما سار عليه الرّابط (الفاء) في كامل الرسالة إذ قام بالرّبط بين الأحداث والوقائع ما جعل الفعل الحِجاجي مقنعا، كما ساهمت في توجيه المغزى العام العلاقات التتابعية التي يحرص فيها المحاجج على ربط الأفكار ربطا سببيا لتحقيق الاستدلال المباشر للنتيجة.

3-6 الرّابط الحِجاجي (إن):

هي حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر, وتُعتبر من الرّوابط الحِجاجية التي تفيد التّوكيد والإثبات فتكون بذلك أداة فعّالة في الحِجاج بما يقوم من توكيد وإثبات القضايا والحُجج فيكون بذلك أقدر على الإقناع, حيث تؤكد حُجة من الحُجج أو رأياً من الآراء ونتيجة من النتائج ,فذلك التّأكيد والإثبات يترك أثرا في نفس المخاطب, ومن هنا تبرز أهميّة هذا الرّابط في ربط السبب بالنّتيجة وذلك بتعليل النتائج فتحمل المخاطب على القبول والاذعان لها ومن ثم الاقتناع بها[30]، فالرّابط الحِجاجي (إن)يعمل على الوصل بين الحُجة والنتيجة على وفق مبدأ العكس التّنازلي، ومن أمثلة الرّابط الحِجاجي (حتى) في زّرزُوريّة بن أبي الجدّ:

يقول بن أبي الجدّ: "فَإِنْ كَانَ رَوْضَ العَهْدِ – أَعَزَّكَ اللَّهُ – لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنا طَلٌّ وَلَا وابِلٌ...، فَإِنَّهُ رَجَعَ بِذِكْرِكَ حَنينًا... فَإِنِّي أَعُودُ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ الحَيَوانِ الغِرّيدِ، والشَّيطَانِ المريدُ... فَإِنْ فَرّجْتَ لَحْظَتِي

بَابًا"[31]، الرّابط (إن) يدل على التوكيد المفيد لتعليل كلام الكاتب وتصديقه أو نفيه فهنا تفيدنا إن أن العلاقة وطيدة بين الكاتب وصاحبه أبا الحسن وهي علاقة تقوم على الحنين والأخوة، ثم يعرج الكاتب على الغرض العام للرسالة وهو ذكر الطاير الزُّريزير والذي أُريد الكسب والتكسُّب، فاستعمل الكاتب الرابط إن لزيادة الاقناع لدى المتلقي وتعليل النتيجة المردة لتحقيقها ليصغي لها وتشغل اهتمامه.

6-4 عاملية أدوات النفي (ما، لا):

مثّل النّفي مبحثا مشتركا بين البلاغيين والنحاة ولئن اعتبره البلاغيون وتحديدا أهل المعاني شقّا للإثبات في الخبر فعالجوا علاقته بالإثبات، فإنّ النّحاة قد عالجوه من منطلق في الدّرس مغاير ذي أصول بنيويّة فاعتنوا به وأحصوا حروفه ومقولاته ليتبيّن أنّ النّفي عامل حِجاجي يحقّق به الباث وظيفة اللغة الحِجاجيّة المتمثّلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجهيه بالملفوظ إلى النتيجة "ن"، ولقد حصرت العربية في لغتها حروف متمحّضة للنّفي من قبيل (لا، لن، لم، ما)[32]، ويصدق عليها قول أنسكومبر "يوجد في اللغة صرافم، عوامل حِجاجيّة، تشدّ الملفوظ وتبدّل/ توجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته"[33]، يعدُّ الحِجاجيّون النّفي من العوامل الحِجاجيّة التي يهدف من خلالها المتحدث إلى بلوغ الوظيفة الحِجاجيّة للغة من إذعان وتسليم وتقبل للخطاب الملفوظ، وبما أن النّفي ردُّ فعل على إثبات فهو يسعى لتحقيق نتيجة معينة.

ومن الأدوات العاملة للنّفي في مدونتنا نجد:

قول بن أبي الجد: "فَإِنْ كَانَ رَوْضَ العَهْدِ – أَعَزَّكَ اللَّهُ – لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنا طَلٌّ وَلَا وابِلٌ، وَلَا سَجَعَتْ عَلَى أَيْكِهِ وَرَقُ الوَفاءِ وَلَا بَلابِلُ..."[34].

وقوله بن أبي الجدّ: " وَلَمّا طَارَ بِبِلَادِ الغَرْبِ وَوَقَعَ، وَزَقَا فِي أَكْنَافِهَا وصَقَعْ، وَعايَنَ مَا اتَّفَقَ فِيهَا هَذَا الْعَامّ مِنْ عَدَمِ الزَّيْتُونِ، فِي تِلْكَ اَلْبُطُونِ والْمُتُونِ، أَزْمَعَ عَنْهَا فِرَارًا، وَلَمْ يَجِدْ بِهَا قَرَارًا، لِأَنَّ هَذَا الثَّمَرَ بِهَذَا الأُفُقِ هوَ قَوَامُ مَعَاشِهِ، وَمَلَاكُ اِنْتِعاشِهِ، إِلَيْهُ يَقْطَعُ، وَعَلَيْهُ يَقَعُ، كَمَا يَقَعُ عَلَى العَسَلِ الذُّبَابُ، وَتَقْطَعُ إِلَى العَرَادِ الضَّبَابُ، فَاسْتَخَفَّهُ هائِجُ التِّذْكَارِ، نَحْوَ تِلْكَ اَلْأَوْكارِ، حَيْثُ يَكْتَسِي رَيَشُهُ حَرِيرًا، ويَخْتَشِي جَوْفُهُ بَرِيرًا، وَيَخْتَسِي قَرَاحًا نَمِيرًا، ويَغْتَدِي عَلَى رَهْطِهِ أَمِيرًا. فَخُذْهُ إِلَيْكَ، نَازِلًا لَدَيْكَ، مَاثِلًا بَيْنَ يَدْيك، يَتَرَنَّمُ بِالثَّنَاءِ، تَرَنُّمُ الذُّبَابِ فِي الرَّوْضَةِ الغَنَّاءِ، وَقَدْ هَزَّ قَوَادِمَ الجَناحِ، لِعَادَةِ الاسْتِمْناحِ، وَحَبَّر مِنْ لَمْعِ الأَسْجَاعِ، مَا يَصْلُحُ لِلانْتِجَاعِ، وَاثِقًا بِأَنَّ ذَلِكَ القُطْرَ النَّاضِرَ سَتَنْفَحُهُ حَدَائِقَهُ، وَلَا تَلْفُحُهُ وَدَائِقُهُ، لَا سِيَّمَا وَفَضْلَكَ دَلِيلُهُ إِلَى

تَرْعِ رِيَاضِهِ، وَفَرْضِ حِيَاضِهِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَعْدِمُ فِي جَنابِكَ حُبًّا نَثِيرًا، وَخَصْبًا كَثِيرًا، وعُشًا وَثِيرًا فَإِذَا مَا أَرَادَ كُنْتَ رَشَاء . . . وَإِذَا مَا أَرَادَ كُنْتَ قَلِيبًا"[35].

وقوله: أيضا "والسَّلامُ المِعَادِ المَوْصُولِ، مَا عَضُدَتِ الفُرُوعُ الأُصُولَ"[36].

يُعد النّفي بـ "لا" من الصّيغ التّعبيرية التي لها دور حِجاجي أثناء طرح القضايا، وفي هذا الشّأن يقول عبد الله صولة: "فالنّفي إنما هو رد على إثبات فعلي محتمل حصوله من قبل الغير، فقد كان "برغسون "يرى أن الفكر السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كاف الأمر متعلقا بمواجهة الغير أي حين يكون مدار الأمر على الحِجاج"[37]، وإنما يأتي النّفي لإثبات النتائج، وهذا ينطبق على بقية الأدوات مثل: (ما ولم)، وهذا ما نلاحظه من خلال الأمثلة المطروحة سابقا، حيث نجد بن أبي الجد: "لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنا طَلٌّ وَلَا وابِلٌ، وَلَا سَجَعَتْ عَلَى أَيْكِهِ وَرَقُ الوَفاءِ وَلَا بَلابِلُ..."[38]، فالنّفي بـ(لم) والتي تدخل على الفعل المضارع لنفي وقوع الحدث في الماضي، فالكاتب ينفي جازما بأنّ العهد قائم ولم يصبه شيء بل هو ثابت ورزين ويلم يبتل لا بالمطر الخفيف ولا الغزير، ثمّ يواصل النّفي بـ(لا) والتي تفيد النّفي الصّريح أو النّفي الظّاهر، إذ يواصل الكاتب نفيه لإثبات العهد القائم والدائم، فيضرب لنا مثالا قوياً على المحبة والعلاقة الطيبة والوطيدة، وَلَا سَجَعَتْ عَلَى أَيْكِهِ وَرَقُ الوَفاءِ وَلَا بَلابِلُ..."[39]، فالأيكه هو اسم لطائر من طيور الحب أو طيور الشّوق ومعروف إن مات أحدهما يمتنع الآخر عن الطعام والشراب إلى أن يموت هو الآخر، كما أن الآيك هو العش أي مكان إقامة الحبيب، فالشاعر جانس بينه وبين الحبيب باستخدام اسم الآيك الذي يدل على الشوق والحب فإن زال الحبيب زال هو الآخر، فهو يسعى لإثبات حسن العلاقة وديمومتها من خلال نفي صريح وواضح بأنه لم يصبها أي شيء باستعمال عوامل حِجاجيّة لتحقيق الحجاج المراد والمقصود لإقناع المتلقي وهو صديقه أَبِي الحَسَنِ ابْنُ سِراجٍ.

وفي المثال الثاني يستعمل الكاتب أداة النّفي (ما، لم) في حديثه عن طائر الزُّريزير والذي هو كناية عن رجل يحسن الكدية وطلب الحاجة بأسلوب ساخر فاستعار له بن الجدّ لقب طائر الزَّرزور لتشابههما في الغاية المقصودة، والكاتب في استعماله لأداتي النفي (ما، لم) واللتان تأتيان للنّفي الصّرح الجليّ أيضا، حيث أنه: "تدخل(لم) على المضارع فتقلب زمنه إلى ماض، و(ما) تنفي الفعل الماضي فتقول لم أذهب وما ذهبت، فيفيدان الدلالة على المضي"[40]، وهو ما يثبته بن الجدّ بنفيه أن هذا الطائر قرر الفرار حين لم يجد ما يأخذه من تلك البطون والمتون فرحل وارتحل، ثم يقول لصديقه خذه إليك ماثلا بين يديك

مستعملا بذلك عوامل نفي حِجاجيّة بغية تحقيق مراده وهدفه المنشود وهو الكدية والسّخرية لكسب الحاجة بهزل ومزاح.

ويرى الدكتور شكري المبخوت أن: "اقتضاء النّفي للإثبات واستلزامه لجواب عنه مثبت هو الذي يجعل من النّفي تركيبا أساسيا أثرى من الإثبات وأثرى تعقيدا، وهذا أيضا هو الذي يرشح النّفي لأداء وظائف خطابية أساسية في المحاجة باعتبارها احتمالات في الرّبط النّصي والتّعبير عن تعارض الاعتقادات دون البت من خلال الإحالة الخارجية في صدق القول أو كذبه"[41]، فالمتحدث حين النّفي يعمد إلى نفي قضيّة ما، فيعبّر باعتقاده تجاه تلك القضيّة، ويحاول أن يدرك المخاطب أنه لا يعتقد في مضمون الكلام.

الخاتمة والنتائج:

ومن خلال تحليلنا السّابق يتأكد لنا:

– أن العوامل والرّوابط الحجاجيّة التّي وجدت في رسالة بن أبي الجدّ، قد ساهمت في حجاجيّته وتسهيل تلقي الخطاب وفهمه والاقتناع به.

– ساعدت الرّوابط بالوصل بين الحُجج والنتائج وتتابعها وبيان ترتيبها أو تعارضها أو تأكيدها أو سببيتها أو تثبيت النتيجة أو نفيها، ومنها ما أفاد في تدعيم الحُجج بعضها بعضا ومساندتا أو تقوية النتيجة وتوجيه القول.

– ساهمت تلك الروابط والعوامل في تشكيل البنية الحِجاجيّة اللّغوية العامة للخطاب في نص الرّسالة حيث ساعد هذا الرّبط على بناء وتكامل الخطاب وتوالد النّص وانسجامه وتوافقه مما يسهل على المخاطَب أن يتلقى هذا الخطاب وأن يفهمه.

– تحقيق النتيجة المرجوة من الرّسالة، وهي "التأثير والإقناع"، ولا يقتصر هذا على المتلقي في عصره وإنما يتجاوزه ليصل إلى المتلقي الكوني عبر مختلف العصور والأزمنة.

– تبين قوة الحجاج وتقنياته وأساليبه الجميلة في المحاججة.

هوامش:

[1] أبو بكر العزّاوي: اللغة والحِجاج،(2006)، العمدة في الطبع(الدار البيضاء)، ط1، ص16.

[2] عبد الله صولَة: في نظرية الحِجاج دراسات وتطبيقات،(2011)، دار الجنوب للنشر والتوزيع(تونس)، ط1، ص13.

[3] عبد الله صولة: المرجع نفسه، ص68.

[4] ينظر: سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجري بنيته وأساليبه (2008), عالم الكتب الحديثة (الأردن), ط1، ص22.-حمامدي صمّود: فريق البحث في البلاغة والحِجاج، أهمّ نظريات الحِجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم(1998)، منشورات كلية الآداب(منوبة)، ص335.

[5] ابن خلدون: المقدمة، (1958)تح: عبد الواحد علي واقف، دار البيان العربي (بيروت، لبنان)، ط1، ص22.

[6] عبد الحليم حسن الهروط: الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (2013)، دار جرير (عمان، الأردن)، ط1، 2013، ص42.

[7] مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه(1973)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط7، ص572.

[8] حازم عبد الله خضر: النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين (1981)، دار الرشيد (العراق)، ص207.

[9] حسن سعيد الكرمي: الهادي إلى لغة العرب (1991), دار لبنان للطباعة والنشر (بيروت), ط1، ج8، ص181.

[10] محمد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحوية والصرفية(1985)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، ص95.

[11] أبو بكر العزّواي: المرجع السابق، ص27.

[12] أبو بكر العزاوي: المرجع نفسه، ص30.

[13] حمادي صمود: أهمّ نظريات الحِجاج عن شكري المبخوت، جامعة الآداب والفنون(تونس)، ص377.

[14] المرجع نفسه، ص27.

[15] عز الدين الناجح: العوامل الحِجاجية في اللغة العربية (2011)، مكتبة علاء الدين (تونس)، ط1، ص35.

[16] موشلر وريبول: القاموس الموسوعي للتداولية (2010)، دار سيناترا (تونس)، ط2، ص35.

[17] حمادي صمود: أهم نظريات الحجاج، عن شكري المبخوت، ص377.

[18] ميدان أيمن: الحوار الأدبي بين المشرق والأندلس؛ المتنبي والمعري نموذجين، دار الوفاء (الإسكندرية)، دط، ص194.

[19] الزرزور طائر يقال أنه: ضرب من الغراب يسمّى (الغداف)؛ ويقال: إنّه (الزّاغ)، وهو يقبل التعليم، ولا يرى إلّا في أيام الربيع. ولونه أرقط لكن السواد أغلب. وقد يوجد في لونه الأبيض، وهو قليل جدّا.

[20] إحسان عبّاس:تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطّوائف والمرابطين، دار الثّقافة(بيروت)، دط، ص86.

[21] هو الوزير الكاتب أبو الحسين سراج بن أبي مروان بن سراج، من أبرز علماء قرطبة في أيام المرابطين، توفي سنة 508هـ، ينظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام.

[22] أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة (1978)، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب (ليبيا-تونس)، ط1، ج3، ص347.

[23] عمر ابراهيم توفيق: الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس؛ موضوعاته وفنونه (2010)، جامعة كركوك (العراق)، دط ، ص141.

[24] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية(2004)، دار الكتاب الجديد(بيروت)، ط1، ص472.

[25] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب (1423هـ)، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة)، ط1،، ج10، ص242 وما بعدها.

[26] المصدر نفسه، ص242.

[27] ينظر: حازم طارش حاتم، (التراكيب التعليلية في القرآن الكريم- دراسة حجاجية-)، 2014، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية/ العراق، ص119.

[28] المرجع نفسه، ص118.

[29] النويري: المصدر السابق، ص242.

[30] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية, دار الفارابي (لبنان), ط1، ص215.

[31] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[32] Anscombre, dynamique du sens et scalarité, colloque de cerisy, 1987,p 134)

[33] same reference,p 134.

[34] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[35] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[36] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[37] توفيق الدعجي: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، (أفريل2010) مركز كانو الثقافي، فضاءات الوسط، العدد2778، ص320.

[38] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[39] النويري: المصدر نفسه، ص242.

[40] فاضل صالح السامرائي: معاني النحو (2000)، دار الفكر (الأردن)، ط1، ج4، ص193.

[41] شكري المبخوت: إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية (2006)، مركز النشر الجامعي (تونس)، دط، ص181.